نود ان نخص الجبهتين، الديمقراطية والشعبية، ببعض الكلمات. ان كافة المعطيات المتوفرة تشير الى ان احدا لا يسعى الى الانتقاص من قيمة هاتين «المنظمتين» او «تخفيضها»، او دفعها الى خارج الاطر الفلسطينية العامة، رغم حب «اليساريين»، في ظروف معينة، العيش تحت وهم هاجس مطاردة الآخرين لهم. ان احدا لا «يطارد» هؤلاء ولا يسعى الى اقصائهم عن دائرة العمل الفلسطيني الفعال، الا بقدر ما يسيئون هم الى مواقفهم ويضعون انفسهم خارج ذلك العمل، بتقاعسهم وهلعهم. بل اننا نذهب في هذا المدى الى ابعد من ذلك، فنقول انه لو لم تكن هناك جبهة ديمقراطية واخرى شعبية، لوجب اقامتهما، لا لسبب الا لكي لا تترك الساحة للا ـ عقيدة «فتح» وبراغماتيتها الخانقة و «تكتكتها» المعهودة، التي تضيع معها كل استراتيجية. فنحن بحاجة لهذه «الورود» الى جانبنا، لاسباب مختلفة، لا يستحسن ذكرها هنا حتى لا يطرأ تضخم على شعورهم «بالاهمية». ولو اختفت، لا سمح ماركس، اي من الجبهتين الديمقراطية او الشعبية لشمّرنا عن سواعدنا، ورحنا نتحدث عن «البورجوازية» و «الكومبرادورية» و «الطبيعة الطبقية»، وحفظنا بعض ما كتبه السيد ماركس، ولينين ايضا (اضافة الى ستالين بالطبع)، وخلعنا على انفسنا رداء «طبقيا»، واعلنا «استيسارنا» (ويقال «استيسر» المرء، اي اعتقد انه «يساري»، وهو حقيقة غير ذلك، بل انه لا يدرك كنه «اليسار» الحقيقي). وباعتقادنا ان هذا ما فعلته اي من الجبهتين الديمقراطية والشعبية، ذوي الاصول والمنطلقات «القومجية» الفا... (ولا حاجة لاكمال الكلمة)، عندما اعلنتا نفسيهما «يسارا». غير ان ذلك كله لا يهمنا، ولا نقول ما نقوله الا في محاولة اولية للغاية، ومتواضعة جدا، للرد على بعض ما يرد في منشورات اولئك من فذلكات يزعم انها «يسارية»، وبالامكان التغاضي عنه. بل ان المهم هو خيبة املنا في اولئك. لقد اعتقدنا، من خلال دلائل عدة، ان رفاقا لنا في النضال، حتى وان كانت وجهات نظرهم مختلفة، قد نموا وترعرعوا من خلال التجارب، فقويت عزيمتهم وصلب عودهم، واصبح بالامكان الاتكال عليهم في المهام الجسام، الى ان اتضح، عند اول هزة، انهم يخافون.. بعث دمشق، لا غيره. واذا كانت هاتان الجبهتان، الطويلتان والعريضتان، في سبيل الحفاظ على المأوى في دمشق، تتراجعان امام الضغوط السورية وتحجمان حتى عن حضور جلسات المجلس الوطني الفلسطيني، فماذا سيكون موقفهما اذا طلب منها اتخاذ، او المشاركة في اتخاذ قرار او مجرد موقف بشأن حل ما للقضية الفلسطينية، او اية خطوة على طريق هذا الحل؟ لا شك انه سيصيبهما ما يصيب بعض الاطفال عندما يهلعون! وفي مثل هذا الوضع، يضطر المرء الى ان يقول انه لا خير في مثل هذه التنظيمات الصغيرة الوجلة، ولا حاجة لها بالتالي. فببساطة، لا يمكن الاعتماد عليها.

غير انه على الرغم من هذا الهلع واصطكاك الركب، لا نرى بأسا في ابقاء المجال مفتوحا امام عودة الجبهتين الديمقراطية والشعبية، ومن كان على شاكلتهما من التنظيمات الفلسطينية الاخرى، الى حظيرة منظمة التحرير الفلسطينية، على ان يدخلوها علنا من الباب الرئيسي، لا من اي طريق جانبي، ويتحملوا بالطبع نتيجة ذلك من صدام مع هذا النظام او ذاك، ان دعت الضرورة لذلك. كما اننا على استعداد لتقديم بعض «التنازلات».. الا اننا لسنا على استعداد للعودة، سياسيا، الى قرارات الدورة السادسة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني، التي يبدو انه ليس لدى الجبهة الديمقراطية الا التطبيل والتزمير لها. فالتاريخ لا يسير الى الوراء. كذلك لا يمكن الموافقة على تلك الوثيقة غير حسنة الصيت، المعروفة باسم اتفاق عدن ـ الجزائر، التي يزعم واضعوها انهم يريدون اصلاح الاوضاع الفلسطينية بواسطتها، بينما لن يتعدى «الاصلاح»